الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إلٰهَ إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ وأصْحَابِهِ أجْمَعين، أمَّا بَعْدُ: نواصل القراءة في هذا الكتاب النافع المبارك «كتاب كشف الشُّبهات» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ.

قال رحمه الله:

وَأَمَّا الجوَابُ المُفَصَّلُ: فَإِنَّ أعْداءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضاتٌ كَثيرةٌ عَلَىٰ دِينِ الرُّسُل يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ؛ مِنْهَا قَولُهُم: نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ؛ بَلْ نَشْهَدُ أنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ وَلا يَنْفعُ ولا يَضُرُّ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلا ضرًّا، فَضْلاً عن عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ؛ وَلَكِنْ أنا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ. فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ؛ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُم لا تُدَبِّرُ شَيْئًا؛ وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، واقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ في كِتَابِهِ وَوَضَّحَهُ.

****

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى: «**وَأَمَّا الجوَابُ المُفَصَّلُ**»؛ عرفنا أنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى استهلَّ هذا الكتاب النافع بمقدمة بيَّن فيها حقيقة دين الأنبياء والمرسلين، وما كانوا يدعون إليه من التوحيد والإخلاص لله، ونبْذ الشركِ والتحذير من حالِ أهله، ودعوة الناس إلى كلمةٍ سواءٍ قائمةٍ على كلمةِ التّوحيد «لاَ إله إلاَّ الله».

وبيَّن أيضًا رَحِمَهُ اللهُ حقيقة دين المشركين وما كانوا عليه من اتخاذ الأنداد والأولياء والشركاء والوسطاء، زاعمين أن تلك الأنداد تقربهم إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى زُلْفَى، ويعتقدون أن تلك الأنداد لا تَخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ولا تُعطي ولا تمنع، بل ذلك كله بيد الله، لكنهم اتخذوها وسطاء وشفعاء بينهم، وبيَّن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣] ، لم يقولوا ما نعبدهم إلا لأنَّا نعتقد أنهم يملكون نفعًا وعطاءً ودفعًا ورفعًا وحياةً وموتًا ونشورًا، لم يقولوا ذلك؛ بل هم يُقرون أن تلك الأنداد لا تملك من ذلك من شيء، وأنَّ المالك لذلك كله هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فبدأ رَحِمَهُ اللهُ كتابه «كشف الشبهات» بمقدمة قرر فيها حقيقة دين الأنبياء والمرسلين وما كانوا يدعون إليه من التوحيد، وبيَّن أيضًا فيها حقيقة دين المشركين وما كانوا عليه من اتخاذ الأنداد والوسطاء والشفعاء والأولياء، يصرفون لهم من العبادة والذل والخضوع ما لا يُصرف إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإذا قيل لهم في ذلك قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ؛ وهذا هو أساس ضلال المشركين ؛ ثم على هذا الضلال بنوا كثيرًا من الشبهات التي ضلوا بها وأضلوا بها كثيرًا عن سواء السبيل. ولا تزال شبهات هؤلاء متكررة عبر التاريخ وبامتداد الزمان؛ فترى الشبهة التي قيلت في قديم الزمان تعاد من المشركين عَبَدة غير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[البقرة:١١٨] ؛ فما عند أولئك عند هؤلاء، وما عند هؤلاء من الأعمال عند أولئك، وما عند هؤلاء من الشبهات عند أولئك، اللهم إلاَّ أنَّ العبارة أحيانًا تتغير، أما الحقيقة والمضمون فواحد.

ثم بعد أن بيَّن رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى في هذه المقدمة هاتين الحقيقتين: حقيقة دين الأنبياء وحقيقة دين المشركين؛ بدأ يُبين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى كيف أنَّ المشرك يحاول أن يجمع لنفسه ما ينصر به دينه الباطل وضلاله المبين ، وأنَّ مثل هذه الشبهات ينبغي أن يكون كل مسلم على حيطةٍ وحذر؛ يحذر منها في نفسه ويُحَذِّر منها من يُخشى عليه أن يتضرر بتلك الشبهات؛ فبدأ رَحِمَهُ اللهُ بموضوع الكتاب وهو الإجابة على الشبهات أو كشفها وبيان زيفها ووهائها، وقرَّر أنَّ كشف شبهات هؤلاء من طريقين:

طريق مُجمل؛ وهو ما سماه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ «الجَوَابُ المجمَلُ» ، والمراد بالجواب المجمل: أي الجواب الصالح لكشف كل شبهة أيًّا كانت؛ في العقيدة أو في العبادة أو في أي باب من أبواب الدين ؛ فهي بمثابة القاعدة الكُلية في باب كشف الشبهات ، صالحة لأن يَرُدَّ بها المسلم كل شبهة تُثار. هذا معنى الجواب المجمل، الجواب المجمل؛ أي: الجواب الذي لا يَختصُّ بكشف شبهة معينة ؛ بل هو جوابٌ لكل الشبهات.

وأيضًا نبَّه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى في مضامين كتابه إلى ضرورة التدرج في هذا الباب ، خلافًا لما عليه بعض الناس من خطإٍ في هٰذا الباب وعدم الإتيان للأمور من أبوابها ؛ فمن الخطأ بمكان أن يدخل الإنسان غمار الشبهات بدون قاعدة. ومما يُقعَّد لطالب العلم في هذا الباب: أولاً معرفة حقيقة دين الأنبياء بالأدلة والبراهين ، ثم يعرف حقيقة دين المشركين بالأدلة والبراهين ؛ عندما نقول بالأدلة والبراهين: أي من كتاب الله وسنة نبيه عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام، ثم بعد ذلك ينتقل إلى المرحلة الأخرى وهي معرفة الجواب المجمل الصالح لكشف كل شبهة يثيرها مشرك أو مبتدع، ثم بعد ذلك يدخل في الأجوبة التفصيلية؛ والأجوبة التفصيلية هي التي تختص بالإجابة عن الشبهات تفصيلاً، وما من شك أن المشركين لهم شبهات كثيرة ؛ فمعرفة الإجابة التفصيلية عن تلك الشبهات تأتي مرحلةً ثالثةً في هذا الباب، كما هو التدرج الواضح في تقرير هذا الأمر وتثبيت هذا المنهج في هذا الكتاب المبارك«كتاب كشف الشبهات»؛ ولهذا بدأ هنا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى بقوله: «**وَأَمَّا الجَوَابُ المُفَصَّلُ**».

ولَمَّا كانت الشبهات –شبهات المشركين– التي يثيرونها لتقرير باطنهم لا خطام لها ولا زمام، وهي متعددة ومتنوعة، وكثيرة وليست بقليلة، لما كانت كذلك أراد رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى أن يُبين لطالب العلم طريقة الإجابة على شبهات هؤلاء بذكر أبرز وأهم ما عندهم من شبهات، ومن ثَمَّ الإجابة عليه بإجابة مختصرة كافيةٍ وافيةٍ بالمقصود؛

فإذا عرف طالب العلم طريقة كشف الشبهات والمنهج العلمي الرصين في بيان زيفها أصبح الأمر بعد ذلك عليه يسيراً بتيسير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ ولهذا أؤكد أننا ينبغي أن نراعي هذه المنهجية الدقيقة المتينة التي قررها رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى في كتابه «كشف الشبهات» لبيان المسلك الصحيح الذي ينبغي أن يكون عليه طالب العلم في هذا الباب.

قال: «**وَأَمَّا الجوَابُ المُفَصَّلُ: فإِنَّ أَعْداءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضاتٌ كَثيرةٌ عَلى دِينِ الرُّسُل يَصُدُّونَ بِها النَّاسَ عَنْهُ**» أي: عن دين المرسلين ؛ إذا كان الأمر كذلك فإنَّ أول ما ينبغي أن يُعنى به طالب الحق في هذا الباب أن يعرف دين المرسلين معرفة صحيحة بالأدلة ، فإذا عرف دين المرسلين معرفةً صحيحةً بالأدلة فإن ما سواه باطل، وكل شبهةٍ تُثار لتقرير خلافه فهي باطلة، وهذه قاعدة في ردِّ كلِّ باطل؛ أن يعرف دين المرسلين ، أما من كان لا يعرف دين المرسلين أو معرفته بدينهم فيها ضعفٌ فإنه يُخترق بشبهات أهل الباطل.

قال: «**لَهُمُ اعْتِرَاضاتٌ كَثيرةٌ عَلى دِينِ الرُّسُل يَصُدُّونَ بِها النَّاسَ عَنْهُ**» هذه الشبهات لو أمعنَّا النظر فيها لوجدناها لا تخرج إلا من أحد شخصين : إما سيئُ فهمٍ ، أو سيئُ قصدٍ ، أو شخص جامع بين السوأين؛ سوء الفهم وسوء القصد؛ أما مع سلامة الفهم وسلامة القصد فإن مثل هذه الشبهات لا تثور ولن تثور بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

بدأ بعد ذلك رَحِمَهُ اللهُ يذكر أمثلة تفصيلية لشبهات هؤلاء، بدأها رَحِمَهُ اللهُ بثلاث شبهاتٍ صدَّر بها الكلام على الأجوبة التفصيلية لشبهات هؤلاء، ونبَّه في خاتمتها أن هذه الشبهات الثلاث هي أكبر ما عندهم ، ونبه أيضًا طالب العلم أنك إذا عرفت هذه الشبهات واتضح لك كشفها وفهِمتها فهمًا جيدًا فما بعدها أيسر منها، وهذا تنبيه من الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى الاهتمام بالأمر ، فأكثر ما عند هؤلاء القوم من الشبهات هذه الشبهات الثلاثة التفصيلية التي يبدأ بها رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى كشفه لشبهات هؤلاء تفصيلاً.

بدأ بالأولى منها قال: «**مِنْهَا قَولُهُم: نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ**» ؛ يتبرَّؤون ويتنصَّلون من الشرك ، وهذه حال صاحب كلِّ باطل ، ليس هناك صاحب باطل يقول عن نفسه أنا صاحب باطل، أو يقول أنا صاحب بدعة، أو يقول أنا صاحب إلحاد أو أنا صاحب شرك؛ بل "كلٌ يدّعَي وصلاً لليلى" على ما عليه هؤلاء من انحراف وانحلال وضياع كلٌ يدَّعي أنَّ ما عنده هو الحق؛ فليس هناك صاحب باطل يقول إنني صاحب باطل أو داعية ضلال ؛ فرعون كان يقول لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾[غافر:٢٩] ، ما قال: "وما أهديكم إلا سبيل الضلال"، وهو أكبر دعاة الضلال. إبليس ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا﴾[الأعراف:٢١] ما قال "من المضلين"؛ قال: ﴿لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، وهكذا صاحب كل باطل يدعي لنفسه أنه داعية حق ، وينفي عن نفسه أنه من أهل

الباطل؛ ولهذا لاحظ كيف يبدأ هؤلاء بنفي ذلك عنهم؛ قالوا: «نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ» ، تراه متلطخًا بالشرك متلوثًا به صريعاً لشُبهاته؛ ثم يقول: لا ، أنا لست من أهل الشرك.

يقولون: «**نَحْنُ لا نُشْرِكُ بِاللهِ؛ بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ وَلا يَرْزُقُ وَلا يَنْفعُ ولا يَضُرُّ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً وَلا ضرّاً، فَضْلاً عن عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ**»، عبد القادر :أي الجيلاني؛ وهو من علماء المسلمين ومن الأئمة المصلحين ، معروفًا بحسن السيرة وحسن العقيدة ، لكنَّ كثيرًا من أتباعه والمنتسبين إليه انحرفوا انحرافًا مبينًا وضلوا ضلالاً كبيرًا، واتخذوا عبد القادر وليًّا من دون الله، يُنزلون به من الحاجات والرغبات والطلبات ما لا يُنزَل إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ونسبوا إليه كذبًا وزورًا أنه يدعو إلى ذلك وأنه يرضى بذلك ويرغب بذلك ، وحاكوا حول ذلك كثيرًا من الأكاذيب والقصص والتجارب المدَّعاة، وأيضًا أنواع من المنامات والخوارق التي أضلوا بها كثيرًا من الناس عن سواء السبيل؛ فأصبح يُدعى من دون الله ، ويُذبح له من دون الله، ويُتقرَّبُ إليه بأنواع من التقربات التي لا تكون إلا إلى الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى . فيقولون: «**نحن نعتقد أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلا ضرًّا، فَضْلاً عن عَبْدِ القَادِرِ أَوْ غَيْرِهِ**» أي: فضلاً عمن دون النبي عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام من الصالحين والأولياء، أو أيضًا من الطالحين الذين لا يُعرفون بصلاح أو استقامة ممن اتُّخِذُوا أندادًا من دون الله.

قال: «**وَلَكِنْ أَنا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُم جاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِنَ اللهِ بِهِمْ**» أي: أعتقد أن هؤلاء أهل صلاح وأهل مكانة وأهل منزلة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ ولهذا لا أطلب من الله مباشرة، وإنما أطلب منَ الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى بواسطة هٰؤلاء، فأتخذهم شفعاء لي عند الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى ؛ وهذا عين ما ذكره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن المشركين الأُوَل: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨] أي: وسطاءٌ لنا عند الله .

فإذا قال لك هذا الكلام، وانتبه لتبيين الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن هذه أكبر ما عندهم من الشبهات؛ يقولون نحن لا نشرك، ونحن نعتقد أنَّ الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر هو الله، ونعتقد أنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعموم الأولياء والصالحين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ، ولكننا ندعوهم ونستغيث بهم ونلتجئ إليهم ونطلب منهم المدد والعون والعافية والشفاء وغير ذلك لأن لهم جاهًا عند الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى ومكانةً عليَّة عنده؛ فنحن نطلب من الله بهم ؛ أي: بواسطة هٰؤلاء، فنجعلهم بيننا وبين الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى شفعاء ووسطاء؛ فكيف تجيبه إذا ذكر لك هذه الشبهة؟

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ : «**فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ**»؛ أي: بما تقدم معك في هذا الكتاب من تقرير لحقيقة دين المشركين، واقرأ عليه الآيات التي قررت حقيقة دين المشركين، وأن المشركين لا يعتقدون في الأصنام المتخذة من دون الله أنها

تنفع وتضر وتعطي وتمنع وتخفض وترفع ، لا يعتقدون فيها ذلك بل يعتقدون أن ذلك كله بيد الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى، ومرَّ معنا آيات عديدة ساقها المصنف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى؛ مثل قول الله جلَّ وعلا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبصارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ ماذا يقول المشركون إذا سُئِلوا هذه السؤالات؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١]، ﴿فَسَيَقُولُونَ اللّهُ﴾؛ أي: سيقولون هذه الأمور كلها بيد الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى، لا يقولون إنها بيد الأصنام.

وإذا سُئِلَ المشركون الأُوَل: لِمَ تعبدون هؤلاء وأنتم تعتقدون أنها لا تنفع ولا تعطي؟ قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلىٰ الله زلفى؛ فتقول لهم: ما الفرق بين حقيقة دين المشركين التي بيَّنها الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى في القرآن، وبين هذا الأمر الذي تذكره لي الآن؟ وضِّح لي الفرق، بعد أن تُبين له أنَّ هذا الذي ذكره هو نفس الكلام الذي قرَّرَه الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى في كتابه عن المشركين الأُوَل، واقرأ عليهم الآيات التي تبين حقيقة دين المشركين؛ وقل له: وضح لي فرقًا بين هذا الذي تقول وبين الذي قاله المشركون الأول، ما الفرق بين هٰذا وهٰذا؟

قال: «**فَجَاوِبْهُ بِما تَقَدَّمَ وَهُوَ: أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ**» ؛ عرفتَ أنت ما المراد بقوله «مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ»؛ أي: مِن أنَّ الخالق الرزق المنعم المدبر هو الله، وأنَّ الأنبياء والأولياء لا يملكون نفعًا ولا دفعًا ولا عطاءً ولا منعًا ولا حياةً ولا موتًا ولا نشورًا.

«**وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُم لا تُدَبِّرُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا الجاهَ وَالشَّفَاعَةَ**»؛ أي: المشركون الأُوَل إنما أرادوا بتلك الأصنام الجاه والشفاعة.

«**واقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ في كِتَابِهِ وَوَضِّحَهُ**»؛ وضِّحه له؛ يعني اقرأ عليه الآيات التي قرر الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى فيها حقيقة دين المشركين ووضح له هذه الآيات حتى يعرف معناها، ثم قل له: ما الفرق بين هذا الذي تقول وبين الذي كان عليه هؤلاء الذين بيَّن الله عَزَّ وَجَلَّ حقيقة دينهم في القرآن الكريم؟!

هنا تنتهي الشبهة الأولى بجوابها.

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى:

فَإِنْ قَال: هَؤلاءِ الآياتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟ فَجاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ؛ فَإِنَّهُ إِذا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّها للهِ، وَأَنَّهُم مَا أَرَادُوا ممن قَصَدُوا إِلاَّ الشَّفَاعَةَ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ؛ فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنامَ، وَمِنْهُمْ مَن يَدْعُو الأَوْلياءَ الَّذِينَ قالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية[الإسراء:٥٧]. وَيَدْعُونَ عيسى ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَقَدْ قالَ تَعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[المائدة:٧٥ _٧٦] ، وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[سبأ: ٤٠_٤١]، وَقَوْلَهُ تَعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[المائدة:١١٦]. **فَقُلْ لَهُ: عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضًا مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يُفَرِّق بَيْنَهُم.**

****

ثمَّ بعد ذلك انتقل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى إلى ذكر الشبهة الثانية والجواب عليها؛ لكن قبل ذلك فيما يتعلق بالشبهة الأولى والجواب عليها أريد أن تنتبه إلى أن قول الشيخ رَحِمَهُ الله في تمام جوابه على الشبهة الأولى: «واقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ في كِتَابِهِ وَوَضِّحَهُ» أراد رَحِمَهُ اللهُ أن تقرأ عليه نوعين من الآيات:

- النوع الأول: الآيات التي تُقرِّر أن المشركين يُقرون بأنَّ الخالق الرازق المنعم المعطي المحيي المميت هو الله لا شريك له، وهي كثيرة، وأنهم لا يعتقدوا فيمن اتخذوهم من دون لله أولياء شيئًا من ذلك، فهم لا يعتقدون في الأنداد أنها تخلق وترزق وتحيي وتميت وتعطي وتمنع، لا يعتقدون فيها ذلك، فاقرأ عليه الآيات التي تبين هذا الأمر.
- النوع الثاني من الآيات: أن تقرأ عليه الآيات التي تبين أن عبادة المشركين للأصنام والأوثان واتخاذهم للأنداد؛ إنما هو من أجل أن تقربهم إلى الله ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فتقرأ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ ، تقرأ عليه الآيات التي من هذا النوع والآيات التي تقرر أن العبادة حق لله سبحانه وَتَعَالَى ليس مع الله فيها شريكٌ كائناً من كان.

بعد ذلك ذكر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى الشبهة الثانية؛ قال: «**فَإِنْ قَالَ: هَؤلاءِ الآياتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ**»، متى يقول لك من اتخذ مع الله الشركاء هذه الكلمة؟ «هَؤلاءِ الآياتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ» متى تسمعها منه؟ إذا تلوت عليه الآيات؛ ولهذا من لا يعتني بالآيات وتلاوتها في مقام الجواب على المشركين لم يصبح مؤهلاً لدعوتهم وكشف شبهاتهم؛ لأن أساس كشف شبهات المشركين تلاوة آي القرآن الكريم ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[التوبة:٦] ، ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾[الأنبياء:٤٥] ؛ فإذا تُليت عليه هذه الآيات

سيقول لك في الغالب: قف انتظر، هذه الآيات التي تتلو عليَّ هذه نزلت في من يعبد الأصنام، نزلت فيمن يدعو اللات والعزى ومناة، أحجار صخور، نزلت فيمن يعبد الأصنام.

«**كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟**» وهذه طريقة عند هؤلاء للتشنيع على أهل الحق وإثارة الشوشرة على أصحاب الحق؛ «كَيْفَ تَجْعَلُونَ الصَّالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟» يقولون نحن لم ندعُ اللات ولا العزى ولا مناة ولا غيرها من الأصنام، نحن دعونا الأنبياء ودعونا الأولياء ودعونا من لهم مكانة عند الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى فكيف تقرؤون علينا الآيات التي أخبر الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى بها حال من يعبدون الأصنام؟! نحن لا نعبد الأصنام ولا ندعو الأصنام؛ فهذه الآيات لا علاقة لها بموضوعنا وبأمرنا، هذه تتعلق بقومٍ كانوا فبانوا، نزلت في أقوام يعبدون الأصنام وحاربهم النبي عليه الصلاة والسلام وانتهى أمرهم، أما نحن ما لنا ولهؤلاء وما أبعد حالنا عن حال هؤلاء، نحن ندعو الأنبياء وندعو الأولياء وندعو الصالحين ممن لهم المكانة العليَّة عند الله سُبْحَانهُ وَتَعَالىٰ؛ فكيف تتلون في حقنا آيات إنما نزلت فيمن يعبد الأصنام؟ هكذا سيقول، فكيف يُجاب عن هذه الشبهة؟

وأحبُّ أن أنبهك أنَّ الشيخ رَحمة اللهُ عليه عندما يبين لك مثل هذه الشبهات والأجوبة عنها، بيَّنها بعد أن دخل معترَكًا طويلاً مع خصوم كُثُر مشافهةً ومكاتبة ، وجاهد في الله جهادًا عظيمًا في تقرير التوحيد ونصرته وإبطال الشرك وبيان زيفه؛ فنفع الله سبحانه وتعالى بما كتب نفعًا عظيمًا، ولهذا يعطيك عُصارة عن خبرة وتجربة واسعة جدًا في هذا الباب العظيم، وإذا خُضت هذا الغمار نفعًا لعباد الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى سترى أنه أحسن في صنيعه أيما إحسان رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى .

قال: «**فَجاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ**» لازلنا باقين مع الأساس الذي يُبنى عليه الموضوع ؛جاوِبْهُ بما تقدم في صدر الكتاب من تقرير لحقيقة دين الأنبياء وحقيقة دين المشركين، وأنَّ الأنبياء دعاة لله سُبْحَانهُ وَتَعَالى وإخلاص التوحيد له، وأنَّ المشركين دعاةٌ لاتخاذ الأنداد والأولياء من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وتذكر له أنَّ المشركين الأُوَل كانوا يقرون بالربوبية ويقرون أنَّ الله هو الخالق الرازق النافع الضار المعطي المانع، وأنَّ هذه الأصنام التي اتخذوها من دون الله لم يتخذوها إلا لغرض أن تقربهم إلى الله؛ لأنها بزعمهم لها مكانة عند الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى ، فهم اتخذوها من أجل أن تقربهم إلى الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى زلفى.

«**فَإِنَّهُ إِذا أَقَرَّ أَنَّ الكُفَّارَ يَشْهَدُونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّها للهِ، وَأَنَّهُم مَا أَرَادُوا مما قَصَدُوا إِلاَّ الشَّفَاعَةَ، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ**»؛ يعني: إذا أقر لك بأن المشركين الأول يقرون بالربوبية، وأنَّ الربوبية أمرها لله وحده، وليس بيد الأصنام والأوثان شيئًا من ذلك. إذا أقر بذلك؛ ولكنه أراد أن يفرِّق بين فعله وهو دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين وبين فعل أولئك الذين يتخذون الأصنام الأحجار من دون الله، فماذا تصنع معه حينئذ؟ إذا

أراد أن يفرّق بين الآيات التي تلوتها عليه وبين صنيعه بأنَّ الآيات التي تلوتها عليه إنما هي مُنصبَّةٌ في حق من دعا صنمًا من حجر أو شجر أو نحو ذلك، وأنها لا تشمل من دعا نبيًا أو دعا وليًا، فماذا تصنع حينئذ؟

يقول الشيخ: إذا أراد ذلك «**فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنامَ**»؛ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾[الشعراء:٧١] منهم من يعبد الأصنام، منهم من يعبد الشمس، منهم من يعبد القمر، منهم من يعبد الأحجار والأشجار.

«**وَمِنْهُمْ مَن يَدْعُو الأَوْلياءَ**» القرآن دلَّ على ذٰلك، قل له: القرآن دلَّ على أن المشركين الذين كانوا خصومًا للأنبياء والمرسلين منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الأولياء، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد غير ذلك، وقل له: عندي آيات في القرآن الكريم تدلَّ على ذلك، وأنَّ المشركين الذين ذمَّ الله باطلهم وضلالهم في القرآن ليسوا فقط من كانوا يعبدون الأحجار والأصنام؛ بل منهم من عبَد الأصنام، ومنهم من عبد الأنبياء، ومنهم من عبَد الأولياء، ومنهم من عبد الملائكة، هكذا قل له؛ فإذا قال لك: أعطني الآيات، هاتِ الآيات التي تدل على أن المشركين منهم من كان يعبد الأنبياء وأن منهم من يعبد الأولياء وأن منهم من يعبد الملائكة، هات الآيات التي تدل على ذلك؟ اقرأ عليه الآيات.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**وَمِنْهُمْ مَن يَدْعُو الأَوْلياءَ الَّذِينَ قالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾**»؛ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ما هي حال المدعوين هؤلاء؟ قف هنا وتأمل في حال المدعوين من دون الله ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦)أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ما هي حالهم؟ أصنام؟ أحجار؟ أم ماذا؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ هؤلاء أولياء لله أو ليسوا بأولياء؟ هؤلاء من أرفع وأعظم أولياء الله ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ ؛ بل عندهم أساس الولاية التي عليه تُبنى؛ وهو أن يكون مُحبًا لله سبحانه وَتَعَالَى متقربًا إليه وحده، راجيًا رحمته، خائفًا من عذابه؛ وهذه أركان التعبد القلبية الثلاثة؛ فهؤلاء عباد لله من أولياء الله المقربين وكانوا يُدعوْن من دون الله. وقد قيل في معنى هذه الآية: إنها نزلت في نفر من الإنس كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم هؤلاء الجن وصلحت حالهم مع الله، واستمر أولئك على عبادتهم لهم من دون الله، وقيل: إنها كانت نزلت فيمن يدعو العُزير وعيسى من دون الله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذن هذه الآية من سورة الإسراء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ نزلت فيمن يعبد صنمًا، حجرًا من الأحجار؟ أم نزلت في من؟ نزلت في من يعبد وليًا من الأولياء أو نبيًا من الأنبياء؛ على قولين: إما أنها في الأولياء أو في الأنبياء، وهي على كلا القولين حجة على أولئك القائلين أن أولئك إنما كانوا يعبدون الأحجار والأصنام.

«**وَيَدْعُونَ عيسى ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ**» أيضًا قل لهم: من المشركين من كان يدعو الأنبياء والأولياء؛ عيسىٰ نبي وأمه وليَّة من أولياء الله، ليست من الأنبياء، الأنبياء ليسوا إلا رجالاً، فهي من أولياء الله، أمه من أولياء الله، وعيسى نبي من أنبياء الله ومن الرسل المقرَّبين، عُبد من دون الله أو لم يُعبد؟ وأمه عُبدت من دون الله أو لم تعبد؟ هو نبي وأمه ولية، وعُبدا من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ؛ إذًا المشركين الأُوَل لم تكن عبادتهم مختصة بعبادة الأصنام، فيهم من عبَد الأنبياء، وفيهم من عبَد الأولياء، والآيات جمعت لك الأمرين، ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ؛ هٰذا السياق الآن إنكار على من عبد صنمًا من الأصنام؟ أم هو إنكار على من عبد نبيًا من الأنبياء أو وليًا من الأولياء؟ هذا السياق إنكار على من عبد نبيًا من الأنبياء ووليًا من الأولياء، عيسى عليه السلام نبي وأمه وليّة من الأولياء وعُبدا من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأنكر الله سبحانه وَتَعَالَى ذلك على من فعله ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. ولو قرأت عليه هذه الآية: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ربما قال لك : هذه نزلت في من عبد صنمًا، قل له: اقرأ ما قبلها، فيمن عبَد عيسى وأمه.

قال: «**وَاذْكُرْ لَهُ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾**[سبأ:٤٠-٤١]» ؛ هذه الآية تدل علىٰ أنَّ مِنَ الناس مَنْ عبَد الملائكة من دون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ولهذا الملائكة تتبرأ يوم القيامة من هؤلاء وأنهم لا يرضون بذلك.

«**وَقَوْلَهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾**[المائدة:١١٦]» . إذًا هٰذه الآيات تدل دلالة واضحة على أن المشركين الأول الذين ذمَّ الله شركهم في القرآن الكريم منهم من يعبد الصنم، ومنهم من يعبد النبي، ومنهم من يعبد الولي، ومنهم من يعبد الملَك، ومنهم من يعبد غير ذلك؛ فيكون بذلك اتضح جواب هذه الشبهة عندما يقول: "هذه الآيات

إنما نزلت فيمن يعبد الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام، نحن فقط اتخذنا الأنبياء والأولياء وسطاء لنا عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ففرْقٌ بيننا وبين هؤلاء"، ففي مثل هذه الحال تقرأ عليه هذه الآيات.

قال الشيخ: «**فَقُلْ لَهُ: عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ أَيْضاً مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يُفَرِّق بَيْنَهُم**» ؛ نبينا عليه الصلاة والسلام لم يفرّق بين كُفر من عبَد صنم وكُفر من عبد نبيًا أو وليًا؛ بل كُفر هؤلاء باب واحد ، كله شركٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واتخاذٌ للأنداد والأولياء والوسطاء يصرفون لهم من العبادة ما لا يُصرف إلا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى:

فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمُ، وَأنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ لاَ أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ، وَالصَّالِحُون لَيْسَ لَهُمْ مِن الأَمْرِ شَيْءٌ؛ وَلَكِنْ أَقْصِدُهُم أَرْجُو من اللهِ شَفَاعَتَهُم؛ فَالجَوابُ: أَنَّ هَذا قَوْلُ الكُفَّارِ سَواءً بسَواءٍ، واقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزُّمر: ٣]، **وَقَوْلَهُ تَعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾**[يونس: ١٨]. **وَاعْلَمْ: أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلاثَ هِيَ أَكْبَرُ ما عِنْدَهُمْ، فَإذا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَها في كِتَابِهِ وَفَهِمْتَها فَهْمًا جَيِّدًا فَما بَعْدَها أَيْسَرُ مِنْها.**

****

ثم ذكر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى هنا شبهة هؤلاء الثالثة ؛ قال: «**فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمُ**»؛ إن قال الكفار أي: الكفار الذين نزل فيهم القرآن ونزلت فيهم الآيات، قد مرَّ معنا شيءٌ منها، وتكون أنت أيضًا قد تلوت شيئًا منها، «فإذا قال لك: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمُ» يريدون من هؤلاء؛ أي: يقصدونهم راجين منهم طالبين منهم حظوظًا وحاجات دينية ودنيوية. «**وَأنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ لاَ أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ**»؛ بمعنى أنه يريد أن يقول لك: أنا مجرد اتخذت هؤلاء وسائط، أنا لا أريد منهم ابتداءً ، وإنما أريد منهم شفاعة وواسطة عند الله، فأنا أريد من الله؛ لكن هؤلاء جعلتهم بيني وبين الله واسطة من أجل أن يقربوني إلى الله؛ لأني مذنب ومقصر وهم لهم مكانة عليّة عند الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى ومنزلة رفيعة عنده، فأنا لا أريد منهم مباشرة ولا أطلب منهم مباشرة؛ لأنهم لا يملكون من ذلك شيئًا، لكنني أريد أن يكونوا واسطة بيني وبين الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى.

«**فَإِنْ قَالَ: الكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُمُ، وَأنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُّ المُدَبِّرُ لاَ أُرِيدُ إِلاَّ مِنْهُ، وَالصَّالِحُون لَيْسَ لَهُمْ مِن الأَمْرِ شَيْءٌ وَلَكِنْ أَقْصِدُهُم أَرْجُو من اللهِ شَفَاعَتَهُم**» ؛ فهذا الكلام الذي يقوله هو الآن هل تجد بينه وبين عمل المشركين الأوَل فرقًا؟ المشركين يقولون: نحن لا نريد إلا من الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى وهذه لا تنفع ولا تعطي

ولا ترفع ولا تملك، والآيات مرت معنا غير مرة دالَّةً على ذلك، إذًا لماذا تدعونهم وتطلبون منهم؟ قالوا: من أجل أن يقربونا إلى الله سُبْحَانهُ وَتَعَالى ويكونون وسطاء بيننا وبينه سبحانه.

ولهذا قال الشيخ: «**فَالجَوابُ: أَنَّ هَذا قَوْلُ الكُفَّارِ سَواءً بسَواءٍ**»؛ أي: شبرًا شبرًا، ذراعًا ذراعًا، هذا نفس العمل الذي عمله الكفار الأُوَل ، وهذا نفس قول الكفار الأول، حتى إنهم عندما يُسألون يجيبون بذلك؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، ما قالوا: ما نعبدهم إلا لكوننا نعتقد فيهم أنه ينفعونا أو يدفعونا أو يرفعون أو غير ذلك، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

قال: «**فَالجَوابُ: أَنَّ هَذا قَوْلُ الكُفَّارِ سَواءً بسَواءٍ، واقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ، وأيضًا قَوْلَهُ تَعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾**» الآية من أولها: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾؛ أي: وسائط بيننا وبين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، اقرأ عليه مثل هذه الآيات.

وبهذا يكون الشيخ قد أجاب باختصار عن أكبر شبهات هؤلاء، ولا تزال هذه الشبهات هي أكبر ما عند القوم وتتكرر منهم عند أيّ انتقاد يكون منهم على ما هم عليه من شركٍ وضلالٍ وباطل.

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلاثَ هِيَ أَكْبَرُ ما عِنْدَهُمْ**» أي: أكبر ما يحتج به هؤلاء هذه الشبه الثلاث. وتأكيدًا لما سبق؛ الشيخ رحمة الله عليه عندما يقول لك: إن هذه أكبر ما عندهم؛ يقوله عن بصيرة وعلم بحال هؤلاء، ودخل معهم معتركًا طويلاً في حياةٍ مديدة في الجهاد والنصح لدين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهذه أكبر ما عندهم، يعني أكبر الشبهات التي واجهت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ وواجهت أيضًا المصلحين دعاة التوحيد والحق، أكبر الشبهات التي يثيرها هؤلاء هي هذه الشبهات الثلاثة.

قال: «**فَإذا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَها في كِتَابِهِ وَفَهِمْتَها فَهْمًا جَيِّدًا فَما بَعْدَها أَيْسَرُ مِنْها**» إذا كان أكبر ما عند القوم أُطيح به بهذه السهولة واليُسر من خلال كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام وفهْم القرآن والسنة؛ فما بعدها من شبهات القوم أيسر من ذلك.

ثمَّ بعد ذلك دخل رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى في ذكر شبهاتٍ أخرى لهؤلاء؛ لكننا نكتفي اليوم بهذا القدر.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحب أجمعين.